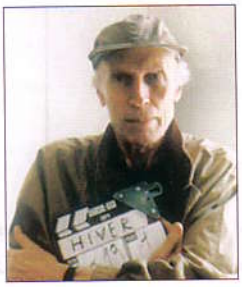

ايريك روهمر

عرض في مهرجان برلين ضمن المسابقة الرسمية

«عميل سري مثلث» لايريك روهمر عالم الجاسوسية واوروبا الثلاثينيات

افلام ايريك روهمر لها نكهة فرنسية خاصة، كنكهة النبيذ المعتق النبيل، فكلما انجز هذا الشاب ذو الرابعة والثمانين ربيعاً عملاً سينمائياً يستقبله الوسط السينمائي والصحافي كحدثٍ بحد ذاته. فالقصة ليست حدوتة فرنسية كما عودنا روهمر في سلسلة افلامه التي اشتهرت بتتابع قصصها كمؤلف واحد ومستقل في آن. ففي آخر عمل لروهمر «عميل سري مثلث»، يسبح كعادته عكس التيار ويخرج عن النهج السينمائي التقليدي للافلام، فهنا خرج عن نمط افلام الجاسوسية المعتادة، المزدحمة بالمؤثرات الخاصة، بصرية ام سمعية والمعتمدة على اسلوب التشويق بما نسميه بـ«الأكشن» ليروي لنا قصة جاسوسية مفعمة بالحب، بالتناقض والغموض.

سيرج رنكو (فيودور)

فيودور وآرسينوي

Triple Agent

استوحى روهمر قصة الفيلم من حادثة اختفاء جنرال روسي وقعت في باريس العام ١٩٣٧ قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية وما زالت وقائعها حتى يومنا هذا مجهولة. فمنذ اللحظات الاولى من الفيلم يضعنا ايريك روهمر في اجواء الغموض بصورة متناقضة، اذ ندخل عالم بطلي الفيلم من خلال مشهد الحياة الزوجية الهانئة مع رائحة القهوة الصباحية وابتسامة حب من امرأة جميلة لزوجها المتأنق الجالس بقرب المذياع ناسخاً على دفتر صغير نتائج الانتخابات النيابية الفرنسية التي تعلن انتصار الجبهة الشعبية الكاسح. ها نحن اذاً في باريس عام ١٩٣٦، حول هاتين الشخصيتين كتبٌ تحمل عناوين بخطوط يونانية وروسية فنكتشف من خلالها هويتهما. هذا المشهد المثالي يقطعه اتصال هاتفي يحمل الزوج على التوقف عن سماع أخبار المذياع ليتكلم بالروسية الي محدثه وبالفرنسية الى زوجته ثم يخرج مسرعاً من منزله للالتحاق بمركز عمله، مكتب الجيش الروسي القيصري في باريس.

كاترينا مع سيريال كلير (في دور ماغي)

ينطلق بنا الفيلم لنتعرف الى ابطال القصة، فيودور جنرال شاب في الجيش القيصري لجأ الى باريس اثر انتصار الثورة البولشفية في روسيا. آرسينوي الزوجة اليونانية التي تعرّف اليها في العاصمة الفرنسية. ينقل لنا روهمر من خلال العلاقة الغامضة بين بطلي القصة الغموض الذي كان يكتنف العلاقات السياسية والتحالفات المتقلبة التي كانت سائدة في تلك الفترة الدقيقة من تاريخ اوروبا، اوروبا الثلاثينيات الغارقة في ضباب كواليس التحركات والتحالفات السياسية والاستعدادات العسكرية. النظام النازي في المانيا وطموحاته التوسعية، ستالين في روسيا وسياسته العسكرية، في فرنسا الجبهة الشعبية اليسارية تتسلم زمام السلطة مع ليون بلوم رئيساً، في اسبانيا الحرب الاهلية الدامية تقلق الاذهان وترخي بظلالها على اوروبا... وايضاً على الفيلم.

هذه التناقضات يبرزها روهمر من خلال تصرف شخصيات القصة، فترى الزوجة اليونانية، الفنانة المرهفة التي تبرع في نقل ورسم الوجوه الانسانية في لوحاتها، والعليلة بداء الربو، تتقرب من جيرانها الشيوعيين رغم التباعد الايديولوجي بينهما، والزوج الجنرال الروسي يقوم برحلات سرية دون علم منها، متعمداً خلق اجواء مقلقة ومبهمة من حوله، ولا يخشى من الاجهار بمهمته كجاسوس، دون الافصاح لأي جهة يعمل. المشاهد كالزوجة سيحتار في تحديد هوية زوجها الجاسوس، لمن يعمل؟ هل يعمل لحساب الروس البيض المعارضين للشيوعية وللنظام الستاليني، ام انه يعمل لحساب الاتحاد السوفياتي الناشىء الذي ادى به الى اللجوء بعيداً عن أرضه وعن ابنه؟ ام انه يعمل لحساب النظام النازي وربما يعمل لحساب الجميع على السواء. هل هو مدرك لمن يعمل في الواقع؟ ما الذي ينطوي وراء الكلمات، وراء المظهر الخارجي؟ ما هي ماهية الكلام المزدوج او العاطفة المزدوجة؟

بذكاء شديد يدخلنا روهمر في دهاليز عالم الجاسوسية الخفي دون اعطاء اي جواب لفك لغز هذا الجاسوس. فالجنرال الشاب او الجاسوس المتأنق فيودور، المولع بحب زوجته آرسينوي، المستعد للتضحية بحياته من اجلها، والتخلي عن مبادئه والعودة الى روسيا الستالينية للانضمام الى الجيش البولشيفي ليؤمن لها الاستشفاء من داء الربو. اذ بنا نراه يضحي بها اثر مكيدة بغيضة يقع فيها. يختفي فيودور وآرسينوي تحاكم بتهمة الخيانة والتعامل مع النظام النازي وتموت في السجن من الربو. اما فيودور فيبقى مجهول المصير. هل اخفي؟ هل قتل في اسبانيا؟... لا أحد يدري. لا أمتع من ملاحظة اطار صورة روهمر ومرافقة تحركات الكاميرا، تلك الكاميرا التي تتمتع بشفافية مطلقة، وبجمالية الصورة المتناسقة المتميزة في نقلها لنا لعالم هاتين الشخصيتين وبدقة «المعلم» ادار روهمر ممثليه الفرنسي الاوكراني الاصل سيرج رنكو والممثلة اليونانية كاتارينا ديداسكالو، ضابطاً ايقاع الفيلم على الحوار الانيق. نعجب لهذين الممثلين غير الفرنسيين وهما يتحدثان بلغة فرنسية صافية. ففي لقاءاته الصحافية لم يكف هذا المخرج العاشق وساحر اللغة الفرنسية عن تكرار القول بأن الاجانب يجيدون تلك اللغة الفرنسية افضل من الفرنسيين انفسهم. الجدير ذكره ان روهمر افرد للحوار الحيّز الاكبر من الفيلم، فجاء مكثفاً انيقاً منقحاً من اي تعبير او كلمة لم تكن تنطق بها باريس الاربعينيات. هذا وقد تميز ايضاً روهمر باستخدام الافلام الاخبارية المصورة في سياق احداث الفيلم مازجاً الفيلم الروائي بالفيلم التوثيقي. «عميل سري مثلث» عرض في مهرجان برلين للسينما هذا العام ضمن المسابقة الرسمية.

باريس - نايلة صليبي